



استعادة ذاكرة الشعر التعليمي

قراءة في ديوان

"الأنوار السننية في السيرة النبوية للناشئين"

إبداع

زكريا الرطيل



لقد منح الله سيئاء الغالية منحا كثيرة فجعلها أرض القمر
والبشر؛ حيث يقيم عليها صفة متميزة من المثقفين والأدباء الذين تجمعوا
من شتى أرجاء مصر والوطن العربى فى زمرة متناغمة على الرغم من
أنها متنوعة المشارب والأنماط، وآثروا - منذ القدم- العيش فى رحاب
تلك البقعة المباركة التى حباها الخالق بمزايا كثيرة؛ فهى أرض الفيروز
النادر والرمل اللامع والقمر الساطع والبحر الصافى والنخيل الوفير
والجنان الظليلة ومهد الرسالة السماوية ومهبط الأنبياء والمرسلين.

وبالإضافة إلى كل ما سلف فهى مسقط رأس كوكبة من المفكرين
والعلماء والباحثين النابهين والأدباء والكتاب النوابغ، ولعل من هؤلاء
البارزين على الساحة السيناوية ذاك السيناوى الأصيل شاعر الفصحى،
زكريا الرطيل صاحب ديوان: الأنوار السنية فى السيرة النبوية للناشئين،
الصادر عن دار الوفاء، بالإسكندرية سنة 2011م، وهو الديوان الثانى
للشاعر، وأول الدواوين الشعرية التى تصدرها جمعية اللسان العربى
الجميل بشمال سيئاء؛ تفعيلاً لإحدى أهدافها المنشودة، وتشجيعاً لأدباء
سيئاء الغالية.

وصاحب هذا الديوان هو زكريا حمدان الرطيل. وقد اشتهر باسم
زكريا الرطيل، وهو من مواليد العريش بمحافظة شمال سيئاء
سنة 1948م. درس فى كلية الآداب بجامعة القاهرة، وتخرج فى قسم
المكتبات والوثائق عام 1983م، وتتنوع مجالات نشاطه الثقافى
والأدبى؛ فقد صدر له ديوان شعر بالفصحى تحت عنوان: "أغاريد من
سيئاء"، طبع بالهيئة العامة لقصور الثقافة ولديه مشروعات شعرية

وفكرية تحت الطبع، كما أنه أمين صندوق جمعية اللسان العربى
الجميل بشمال سيناء

وشاعرنا ذو صيت فى المحافل الأدبية والثقافية سيما فى سيناء
واقليم قناة السويس؛ إذ إنه عضو نشط متميز فى عدة مؤسسات أدبية
وثقافية متميزة، وخاض غمار المشاركة فى المسابقات الأدبية، خاصة
مسابقات شعر الفصحى، مثل بعض مسابقات جامعتي القاهرة والأزهر،
وتتميز فيها حتى إنه حاز من الجامعتين شهادات تقدير، ونال جائزة
المركز الثالث فى مسابقة مجلة التراث، وهى مسابقة تجرى على
مستوى الوطن العربى، وإذا دل هذا الفوز على شىء فإنما يدل على
مكانة شاعرنا على مسرح الحركة الأدبية فى سيناء ومصر والوطن
العربى.

وهذا الديوان تجربة تعيد إلى الذاكرة تجارب السلف فى منظوماتهم
الشعرية التعليمية، تلك التى قدمت علوم الحضارة العربية فى عصورها
الزاهرة المتلاحقة، فى قالب شعرى يحفظه طلاب العلم سيما الناشئ
المبتدئ منهم، وذلك لما عرف عن دور هذا القالب فى ترسيخ المعلومة
فى الذهن وحفرها فى عمق الوجدان، فقد رأى فيه أسلافنا الوسيلة
المثلى لحفظ أسس هذه العلوم؛ ومن ثم سار شاعرنا على دربهم وحذا
حذوهم وانتهج نهجهم، فى بادرة لإحياء سيرة المصطفى، ﷺ؛ ومن ثم
اختار شاعرنا القالب الشعرى الموسيقى التقليدى وزناً وقافية.

وقد حدد شاعرنا هدفه في المقدمة المنظومة للديوان، كعادة

أصحاب المنظومات الشعرية من السلف؛ حيث قال:

إني قصدتُ الله في منظومتي فهو المعينُ ومنزلُ الرَّحْمَاتِ
في نظمِ سيرةِ خاتمِ الرسلِ الذي بهُداهِ بَدَدَ حالكِ الظلَمَاتِ
ذي سيرةِ صِغْتِ بَأَنْوَارِ الْمُنَى ورَأَيْتُ فِيهَا مُتَهَى غَايَاتِي
قد صغتها لتزين عقل شبيبةٍ هي في الحقيقةِ مقصدُ الأبياتِ

ومن الواضح عزيزي القارئ أن الهدف سامٍ وأصيل أصبحنا - نحن أبناء الأمة العربية الإسلامية- في أمس الحاجة إلى ترسيخه والعض عليه بالنواجذ لمجابهة تحديات العصر بمتغيراته المتلاحقة وفي مقدمتها تحديات العولمة ألا وهو الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية المميزة بما تتضمن من موروث تاريخي واجتماعي يعبر عن العادات والتقاليد والاتجاهات والميول والقيم الأصيلة، ولعل ذلك يتأتى من خلال استلهام روح السيرة النبوية الشريفة ذات الأصول العربية الإسلامية العريقة، فإذا ترسخ هذا الموروث في أذهان الناشئين من أبناء الأمة استطاعت أجيالهم مجابهة تلك التحديات.

ويحسب لشاعرنا إقباله على مثل هذا النوع من النظم الشاق المحفوف بالصعاب، فقد بذل جهداً مضنياً من أجل توعية النشء بسيرة الرسول العطرة منذ ميلاده حتى وفاته، ﷺ؛ ليكون لهم الأسوة الحسنة والمثل الأعلى، وسعيًا حثيثاً من شاعرنا نحو إبراز الخصوصية خوفاً من طمس الجذور ومحو معالم الهوية؛ ومن ثم أخذ ينقب في المصادر والمراجع الموثقة خاصة كتب السيرة النبوية الشريفة والتاريخ الإسلامي.

ويحمد لشاعرنا أنه رسم لديوانه منهجاً واضح المعالم؛ فقد بدأه بمقدمة شعرية موجزة وضح فيها هدفه من قرص الديوان والمستوى العمري الموجه إليه، ثم تعرض لخمسة وأربعين حدثاً من أحداث السيرة النبوية العطرة، بداية من ميلاد، و طفولته، ومروراً بحادثة الفيل و زواج النبي، ﷺ من السيدة خديجة، رضى الله عنها، و تعبدته فى غار حراء، وبنيان الكعبة، وبعثته ودعوته، ﷺ إلى الله، وتعذيب الكفار للمؤمنين، والهجرة إلى الحبشة، وبيعة العقبة الأولى والثانية، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والأذان، والإسراء والمعراج، والغزوات، و صلح الحديبية، وتحويل القبلة إلى الكعبة، وعمرة القضاء، ومسجد الضرار، وأمر الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك، والوفود، وحجة الوداع، وبعث جيش المسلمين بقيادة أسامة بن زيد، وخروج رسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الملوك، وابتداء مرضه ﷺ، وصلاة أبى بكرالصديق-رضى الله عنه- بالناس وتجهيزه ودفنه، صلى الله عليه وسلم، وانتهاء بسقيفة بنى ساعدة .

وقد تميز الديوان الذى أتحننا به شاعرنا بسهولة الأسلوب ووضوح الألفاظ وحيويتها وإحكام البناء وتماسكه وجزالة التعبير وجمال التصوير والبعد عن التكلف، وإن كان الشاعر قد صبه فى قالب تقليدى، وقلنت منه بعض الهنات اللغوية.

والآن أتركك عزيزى القارئ مع بعض نصوص من الديوان من درر السيرة النبوية العطرة وجماليات لغوية وأدبية.

فتح مكة^(*)

360. وقريش لعهد قد خلفت
361. وبنو بكر طلبت ثأرا
362. وقريش تعين بنى بكر
363. فى بيت الله سعوا قتلا
364. ورسول الله درى خبرا
365. فتجهز سرا كى يغدو
366. ذا حاطب قد أخفى أمرا
367. لقريش يرسله سرا
368. فى أمر الفتح بما يجرى
369. ورسول الله درى خبرا
370. أن يذهب فى أثر امرأة
371. كى تفضح سرا أخفته
372. وعلى أسرع يوقفها
373. ورسول الله مضى قدما⁽¹⁾
374. إذ شارك يوماً فى بدر
375. قد فاز بغفران ومضى
376. ورسول الله يعد لذا
377. فى عشرة آلاف جند
378. ولمكة وافوها نصرا
379. ولأصنام طفقوا هدماً
- فتوالى فيها النكبات
وخزاعة أحيى ثارات
فى ثأر نقض عهودات
لخزاعة حلوا الحرمات
فأعد لمكة عدات
يجتاز طريق فتوحات
بكتابة يبغى قربات
يحكى عن كل الخطوات
من إعداد لمهمات
لعلى أرسل بالذات
ولمكة تبدى العزمات
ولحاطب توفى الذمات
كى يمنع وقع الزلات
ولحاطب يبدى اللومات
قد ابدي فيه بطولات
فى نعمة رب الرحمات
جيشا تسبقه الرايات
أوفوا لله النيات
وأصابوا فيها الغايات
وأزالوا عهد الظلمات

• زكريا الرطيل: الأنوار السننية فى السيرة النبوية للناشئين، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2011م، ص 41-44.

380. دين الإسلام غدا فجرأ
381. وتولى الشرك وما أضحى
382. قد كان دخولهم ظفرا
383. وقريش أحاط بها ذعر
384. ورسول الله يناديهم
385. الأنى جئتكم ظفرا
386. أم ماذا بيتم ظنا
387. إذ قالوا خيرا إذ انتم
388. فأشار لهم هي انطلقوا
389. ذا يوم الفتح لكم امن
390. من يدخل بيتا يغلقه
391. وأبوسيفيان لاسلام
392. والدار أمان من خوف
393. ذى هندُ تقول، وما تغنى
394. قد ساد الدين بعزته
395. وأبو بكر بأبيه أتى
396. يرجو هدياً فى إسلام
397. فدعا بهداه وقد أسلم
398. ورسول الله غدا ليسعى
399. ولباب الكعبة يفتحه
400. ويقول : الشرك مضى دحرا
401. وغدا التوحيد لنا دينا
- بهدى من رب السموات
للجهل دروبا صعبات
فى قوة باس قيادات
وغدوا بجنون الويلات
فالأهل هموا والقربات
امضى فى فرض عقوبات
فى أمر ابدوا الحسرات
اهل للصفح لمافات
ذا يوم شمول الرحمات
لا توتى فيه الحرمات
والمسجد للناس نجاة
أبدي الإيمان بنيات
فى فخر يبدى الكلمات
دار عن تلك الأزمت
والناس أتوه جماعات
ولطه يدنى الخطوات
لأبيه ونيل البركات
قد فاز بهدى الدعوات
للكعبة يرقى العتبات
ويزيل آثار جهالات
وتبدد ليل الظلمات
بهداية رب السموات

حجة الوداع

528. ورسول الله غدا يسعى
للحج يعد العدات
529. ويحث الناس على قصد
للكعبة - بيت البركات
530. والناس غدا لهم ركب
بذلوا لله الطاعات
531. يحيوا لله فريضته
يمضون بصدق النيات
532. ورسول الله يعلمهم
أحكاما لهم وعضات
533. يبدي للناس مناسكهم
يسعون لها بالعزمات
534. لوداع ادى خطبته
فى تبيان للحرمات
535. وبتقوى الله يذكرهم
والسعى لنيل الدرجات
536. لا يأتوا من عمل ظلما
لسلوك دروب جهالات
537. يسعوا بالخير لأنفسهم
لله يسوقوا الدعوات
538. ويؤدوا مال زكاتهم
ويقيموا الذكر لخالقهم
539. ويسيروا الدين لربهم
ومناهم أعلى الجنات
540. ويقيموا الدين لربهم
بالحق وصدق النيات
541. ويصونوا وحدتهم دوماً
فى عزتهم بعبادات
542. فالله يكون لهم عوناً
ويبارك تلك الخطوات^(*)

• زكريا الرطيل: الأنوار السنوية فى السيرة النبوية للناشئين، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2011م، ص 55-56.

ابتداء شكوى رسول الله ﷺ (1)

566. ورسول الله يسير إلى
567. ومويهبه⁽²⁾ في صحبته
568. فيقول وربى خيرنى
569. فيقول مويهبه فاختر
570. فيرد رسول الله عليه
571. فيعود لبيدى بالشكوى
572. ولعائشة يشكو ألما
573. فيقول : أريقوا من ماء
574. للمسجد يغدو متكئا
575. و يقول : فإن الله قضي
576. و أبو بكر يبكى حزنا
577. ورسول الله يقول لهم
578. للمسجد أبواب تغلق
579. إلا بابا لابى بكر
580. و أسامة فليمضى قدما
581. و أسامة فى ثقه يغدو
582. ورسول الله غدا يوصى
583. من إكرام أو إحسان
584. خير الناس و أولى براً
- شهداء بقيع بالدعوات
كى يخبره بالنيات
ما بين خلود أو جنات
دينا و علو للدرجات
فجنة ربى خير حياة
بالبيت يعانى من شدات
و تشاركه فى الوعكات
فأتوه بسبع من قربات
للناس يحدثهم بعضات
و ل بعد خير قبل ممات
لفراق تبديه الكلمات
فأبو بكر أولى لصيلات
لا تبقوها مفتوحات
ذاك المهدي للصحبات
فى بعث عدوا العادات
للجرف يبيت لميقات
فى أنصار بالرحمات
أو إثثار بالخيرات
لهم سبق التضحيات

تجهيزه ودفنه، صلى الله عليه وسلم

602. قد قام على في سعى
603. و لتكفين مع صحبته
604. و بثوبين و برد حبر
605. و لموضع دفن قد ابدوا
606. فأبو بكر أبدى قولاً
607. إذ كل نبى مدفنه
608. فى موضع موت قدره
609. فغدوا للحفر بموضعه
610. قد فات لنا أنوار هدى
611. بهدى القرآن و سنته
- للغسل يعد العادات
وقميص يستر عورات
و الناس أعدوا لصلاة
خلفا فى صمت قد بات
لحديث فى هذى الحالات
إن مات و حانت منه وفاة
بقضاء من رب السموات
ليسجى فى قبر الروضات
ولسالكها أطواق نجاة
درباً لدخول الجنات

سقيفة بنى ساعدة

612. لسقيفة ساعدة ابتدروا
و أرادوا دفع خلافات
613. و غدا الأنصار لما عزموا
فى سعيهم لإمارات
614. صحبوا سعد بن عبادة فى
أمر من شر الفتنات
615. لبلوغ امارتهم خلفا
لرسول الله مضوا بثبات
616. فأتى آت لأبى بكر
كى يخبره بالعزمات
617. صحب الفاروق أبا بكر
لسقيفه ساعده بالذات
618. فمضى فى الناس خطيبهم
لأبى بكر بذلوا الطاعات
619. من بعد خلاف فى رأى
وتباريهم بالكلمات
620. فمن الأنصار بدا رأى
و غدا من هاجر بالحجات
621. فإذا الفاروق بفطنته
لناس غدا يبدى الرغبات
622. فى بيعه أول من آمن
و الثاني اثنين بالاربيات
623. فإذا القوم ابتدروا سبقا
وباخلاص ابدوا البيعات
624. لأبى بكر لأمانته
لخلافة من أرسى هدايات
625. فإذا بالناس وقد بدروا
للبيعه قد أوفوا النيات
626. و غدوا لجهاز رسول الله
بدمع تسبقه العبرات
627. و بإيمان بقضاء الله
واخلاص لعلا الجنات